

محاضرة د. هيثم الخياط

بتاريخ 2005-3-22

بغنوان لغة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، بعد انقطاع طال أمده نعود ونتحدث عن لغة القرآن الكريم، والكلمة التي أعتقد أنه يجب أن أتحدث عنها وقد تأخرنا في الحديث عنها هي كلمة "الذكر"، وكلمة "الذكر" من الكلمات الغنية جداً بالمعاني وفي نفس الوقت وردت في القرآن الكريم كثيراً وتقريباً وردت بكل هذه....، وهذه المعاني نلاحظ أحياناً أنها تكون في مواقع متضاربة أو متعاكسة تماماً لكن مع ذلك سياق الجملة هو الذي يوضح بالضبط المقصود من هذه الكلمة، وأول ما يتبادر إلى ذهن من كلمة الذكر هي الحفظ، فالذاكرة والتذكر وما شابه ذلك نعرفه جميعاً وهو أول ما يتبادر إلى ذهن. كل شيء يجري على اللسان هو ذكر وجريان الشيء على اللسان هو أيضاً ذكر، فإذا قلنا أن الإنسان يذكر أي أنه يأتي هذا الكلام على لسانه، وقوله تعالى: ﴿واذكروا ما فيه﴾ قال إسحاق أن معناه ادرسوا ما فيه، فإذا هذا معنى إضافي للذكر وهو الدراسة، طبعاً الذكر بمعنى الحفظ يأتي بصيغ عديدة منها تذكّر وذكر وإذكر، وإذكر يعني إذ ذكر على صيغة افتعل لكن تُدغم الذال بالتاء فتتحول إلى دال "إذكر"، وتذكر واستذكر كل هذه الكلمات تحوم حول معنى الحفظ الذي يقابل النسيان، وهذه وردت كثيراً في القرآن الكريم، ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾، إذن ذكروا هنا أي تذكروا لأنهم كانوا في حالة نسيان مؤقت عن الله عزّ وجلّ وأنه سبحانه وتعالى يراهم والإحسان كما بيّنه النبي ﷺ "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وهؤلاء نسوا لفترة قليلة ذكر الله عزّ وجلّ ثم تذكروا ﴿فإذا هم مبصرون﴾، كذلك ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾، وأيضاً ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً﴾ وهذه تتعلق أيضاً بالذاكرة، وإخوة سيدنا يوسف قالوا بالقرآن الكريم ﴿تالله تفتّأ تذكر يوسف حتى تكون....﴾ أي لاتزال تذكر يوسف حتى تكون من الهالكين،

وأحد أنبياء الله الكرام.... يقول "فستذكرون ما أقول لكم"، فهو مؤمن آل فرعون الذي نصح قومه بأن يكونوا مؤمنين فبأخر الحديث الذي تحدّثه إليهم قال: "فستذكرون ما أقول لكم" أي ستذكرون ما أقول لكم، وفي سورة الكهف ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ فهنا الذكر والنسيان في مقام واحد، وأيضاً ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾، فنلاحظ في هذه الآيات أن الذكر يأتي مقابل النسيان أو التذكر مقابل النسيان من أجل ربط المعنى بشكل يفهم منه تماماً أنها تعني هنا أن يتذكر الإنسان، لكن الذكر أيضاً يمكن أن تشمل على هذا المعنى مع إضافة معنى التكريم والتشريف، وكلمة الذكر بمعنى التشريف مهمة جداً وسنعود إلى هذا المعنى لكن بمناسبة الذكرى يقول ربنا عزّ وجلّ في سورة مريم: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ وأيضاً ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ و﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ و﴿واذكر في الكتاب موسى﴾ و﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ و﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ وبعد ذلك يقول ربنا عزّ وجلّ: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ أي المذكورون كلهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين وهذا يعني أن كل أولئك المذكورون نبيون أو أنبياء وهذا دليل بنص القرآن الصريح على أن السيدة مريم كانت نبيّة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿واذكر في الكتاب مريم واذكر في الكتاب واذكر في الكتاب أنعم الله عليهم من النبيين﴾، وأيضاً مثلها ﴿واذكر عبدنا داود﴾ و﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ و﴿واذكر إبراهيم﴾ و﴿واذكر إسماعيل﴾ واليسع ﴿واذكر أخا﴾ وغيرها، وهذا كله من باب التذكّر المقرون بموضوع الإعزاز والتكريم، ومن الآيات الأخرى ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ هذا لأن تذكر النعم من الأشياء المأمور بها، ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾، ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾، ﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾، وهذه كلها تذكير بنعم الله عزّ وجلّ وآلائه سبحانه وتعالى، وفي سورة سيدنا يوسف حينما أراد سيدنا يوسف أن يُرسل الرسالة إلى الملك قال لساقيه أو أحد الرجلين اللذان استفتياه في أحلامهما ﴿قال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك - أي تذكرني - فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبس في السجن بضع سنين﴾ أي أن سيدنا يوسف لبس بضع سنين لأن هذا الرجل نسي أن يذكره عند ربه، وبالمناسبة كلمة ظن ينبغي أن

نعود إليها عوداً خاصاً فظن في القرآن الكريم تأتي عادةً كما قلت في أول هذه المحاضرات كما كان يستعملها العرب من قریش في زمن النبي ﷺ وكما كان يستعملها النبي ﷺ، وهذه أكثر ما يدل عليها قول أوس بن حجر وهو شاعر.... من شعراء الجاهلية فيقول:

الأمعي الذي يظن لك الظن ... كأن قد رأى وقد سمع

هذا معنى الظن " كأن قد رأى وقد سمع" يعني شيء أقرب ما يكون إلى اليقين، لذلك نجد ﴿وظنوا أنه واقعٌ بهم﴾ يعني تقريباً أيقنوا أنه واقعٌ بهم، فهي كلما تأتي في الغالب تكون بمعنى اليقين تقريباً، يعني مثلاً 95% من اليقين فهذا هو الظن، فحين نسمع كلمة الظن في أن سيدنا يوسف أنه ﴿قال للذي ظن أنه ناجٍ منهما﴾ ليس معناها أنه حسب أو خمن، ولكنه أيقن تقريباً من أن هذا هو ناجٍ منهما فهذا الذي قاله ﴿أما أحكما فيسقي ربه خمراً - معناها أنه سينجو ويذهب إلى ربه يسقيه خمراً - وأما الآخر فيُقتل﴾، وهذا ما حدث فعلاً فلذلك هذا الظن الذي ذكر هنا معناه أنه أقرب ما يكون إلى اليقين، ونجد أن أشياء كثيرة في آيات الله عز وجل أتت فيها الذكر بهذا المعنى سوف أذكرها بسرعة: ﴿أذكرهم بآيات الله﴾، ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾، ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾، ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾، - فكثير منها تأتي معها نسوا في مقابل ذكروا -، ﴿أولم نُعَمِّرْكم ما يتذكر فيه من تذكر﴾، ﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأتَى له الذكرى﴾، وفي الشهادة على الدين أو التدين ﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه واستشهدوا رجلين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما - أي تنسى - فتذكر إحداهما الأخرى﴾ وتذكر مقابل النسيان، وكما يقول الدكتور محمد العوّ أن هذا خصوصية من خصوصيات المرأة لأنه يجوز إذا نسيت أن تذكر أما أحد الشاهدين الرجلين إذا نسي وذكره الآخر تُردّ شهادتهما لأنه لا يُسمح أن يُذكر أحد الشاهدين الآخر، أما المرأتان فيجوز أن تُذكر إحداهما الأخرى، وهنا نجد أن قضية ﴿رجلين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان﴾ هذا فقط في موضوع الدين بالاستيثاق وخاصةً في مرحلة إحالة السفر، لكن فيما عدا ذلك

شهادات الحدود وشهادات الجرائم وغير ذلك فالمرأة والرجل على صعيد واحد لا يُطلب امرأتان في مقابل رجل، وإنما شهادة الرجل وشهادة المرأة سواءً بسواء، حتى نجد أن هناك بعض الحالات تُقبل فيها شهادة المرأة الواحدة ولا تُقبل شهادة عشرة رجال في مثل القضايا المُتعلّقة بالولادة وما شابه ذلك فيرى الفقهاء أنه تُقبل شهادة القائلة الواحدة ولا تُقبل شهادة الرجال لأنهم في العادة - بذلك الوقت - كانوا لا يضطلعون على هذه الأشياء، والآن بالطبع تغيّر الحال فأصبح هناك أطباء توليد أكثر من الطبيبات ولذلك تغيّر الموضوع. أيضاً «فأنساه الشيطان ذكر ربه»، «فأنساهم ذكر الله»، «وأقم الصلاة لذكري» قد يكون معناها للتعبّد لله عزّ وجلّ لكن الأغلب فيها أن تكون معناها حينما تذكر الصلاة يعني من نسي الصلاة يقيم هذه الصلاة حينما يذكرها، «وأقم الصلاة لذكري» فحينما يذكر ربه يصلي، ولذلك النبي ﷺ يقول "من سهى عن صلاةٍ أو نام عنها فكفارتها أن يصليها متى ذكرها ليس له كفارةٌ غيرها"، ودليل هذا من كتاب الله «وأقم الصلاة لذكري»، وأيضاً «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا»، «فيم أنت من ذكرها»، «إذا جاءتهم ذكراهم»، إلى آخر ذلك فهذه كلها تتعلق بالمعنى الأول الذي ذكرناه وهو معنى التذكر، والتذكر هو ما يُحفظ وما يعود إلى الذاكرة بعد النسيان ومنه كلمة "الذاكرة" التي هي المَلَكَة التي يحتفظ فيها الإنسان بهذه المعلومات ثم يستعيدها كلما لزم الأمر أو كلما عرضت لسببٍ ما فأحياناً يتذكر الإنسان أشياء لم يتوقع أبداً أن يذكرها فيذكرها، طبعاً تُقلد هذه الأشياء الآن بالحاسب "Computers" فكلها قائمة على فكرة الذاكرة.

والمعنى الآخر الذي ذكرناه للذكر هو الاستذكار والدراسة، والدراسة المقصود بها الحفظ وهذه أيضاً بحد ذاتها تُسمى ذكراً أو تُسمى استذكراً. ومن معاني الذكر أيضاً كما قلنا المعنى الآخر الذي لمسناه قبل قليل وهو الصيت أو الثناء أو الشرف أو الفخر، فكل ما يتعلق بهذا يُقال له الذكر. الله سبحانه وتعالى يقول: «وإنه لذكرٌ لك ولقومك» يعني هذا القرآن هو ذكرٌ لك ولقومك أي تشريف لك ولقومك، فربنا سبحانه وتعالى شَرَّفَ به نبينا ﷺ وشَرَّفَ به قوم النبي ﷺ، فهنا الذكر معناه التشريف أو الثناء الحسن

والصيت وما شابه ذلك. ومثلاً في ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ فالذكر معناها المقام والشرف والمكانة، وأيضاً في الحديث "الرجل يقاتل ليذكر" يعني ليحمّد بين الناس ويوصف بالشجاعة فذلك يقال له يوم القيامة إنما فعلت ذلك ليُقال أنك شجاع وقد قيل، فإذن هنا الذكر معناه التعظيم والتشريف، ومنه.... القرآن الكريم ﴿والذكر الحكيم﴾ فالذكر هنا معناه الشرف والحكيم معناه المُحكّم، فعيل بمعنى.... ، يعني الذكر الحكيم معناها هذا الشرف العظيم الذي هو مُحكّم، فلا توجد أي ثغرة أو أي خلل يمكن أن ينقل إليه الشك، وهذا معنى ثاني. الغريب أن هناك معنى مُعاكس لهذا المعنى تقريباً يُستعمل الذكر فيه؛ ﴿قالوا - أي قوم إبراهيم - سمعنا فتى يذكرهم يُقال له إبراهيم﴾ وهنا يتكلمون عن الأصنام ومعنى يذكرهم هنا يعيبهم، إذن فالذكر بالحسن أو الذكر بالسوء كلاهما يُقال له ذكر وتُستعمل الذكر في هذا المعنى وكذلك في المعنى الآخر، ولذلك هذه الأشياء أحب أن نحتفظ بها حينما نتلو القرآن الكريم حتى لا تلتبس علينا المعاني أحياناً، مثلها ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ فيذكر آلهتكم معناها أنه يعيب آلهتكم هؤلاء الأصنام كلها، ومثلاً فلان يذكر الناس أي يغتابهم أو يعدد عيوبهم، وهذا معنى جزئي لكنه يرد أحياناً فيجب أن ننبه عليه، فيذكر آلهتكم ليس معناها أنه يُعظم آلهتكم أو يُشرف آلهتكم، بالطبع لا ولكن معناها أنه يعيبها ويذكرها بسوء.

المعنى الآخر للذكر هو "الكتاب" أي الكتاب المُنزل من الله عزّ وجلّ، فكل كتاب يُنزل من الله عزّ وجلّ هو ذكر، وكل كتاب جاء به نبيّ من الأنبياء هو ذكر، وهذا أيضاً وارد في كتاب الله عزّ وجلّ بهذا المعنى.

أيضاً من معني الذكر هي "الصلاة"، فالصلاة في حد ذاتها هي ذكر أيضاً، ولذلك نجد في الحديث أن "كانت الأنبياء عليهم السلام إذا حزبهام أمر - أي حلّ بهم أمر من الأمور التي يضيقون بها - فزَعُوا إلى الذكر" إلى الذكر يعني إلى الصلاة، يقومون فيصلّون، وهذا المعنى أيضاً يتوسع فالصلاة أصل معناها في اللغة الدعاء، حتى في اللغات الأجنبية تُستعمل to pray معناها يصلي ومعناها أيضاً يدعو، إذن فالصلاة والدعاء كلاهما من معاني الذكر.

ومن معانيها أيضاً قراءة القرآن والتسبيح والشكر لله عزّ وجلّ والطاعة، كل هذه المعاني تشتمل عليها كلمة الذكر في الآيات المختلفة، كذلك تمجيد الله سبحانه وتعالى تقديسه وتسبيحه وذكره بمحامده كلها والثناء عليه، كل هذا ذكر لأن هذا يتعلق بموضوع الشرف ويتعلق أيضاً بموضوع الدعاء والاتصال بالله عزّ وجلّ.

سوف نستذكر بعض الآيات لنرى المعاني التي فيها بالإضافة إلى الآيات التي سبقت والتي كانت تُركّز على المعنى الذي يقابل النسيان: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلّى﴾ - لن أعلق كثيراً فأنا أحب أن يتفاعل كل إنسان مع كتاب الله عزّ وجلّ - "وذكر اسم ربه" أي ذكره وأيضاً "فصلّى" فهنا الصلاة مرتبطة بالذكر، ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم....﴾، ﴿وذكروا الله كثيراً....﴾، ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ أي يسبحون الله ويحمدونه ويدعونه في حالة القيام والقعود وفي كل وضع من أوضاعهم يذكرون الله، وبالمقابل ﴿الذين لا يذكرون الله إلا قليلاً﴾، وهي الفنة المعاكسة تماماً لهذه الفنة الأولى، وأيضاً رب العالمين يقول: ﴿واذكروني أذكركم﴾، ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ هنا الذكر كلفظ وبمعنى الدعاء أيضاً والصلاة وكل ما يتعلق بهذه الصلاة، فهنا في آخر سورة الأعراف يقول ربنا عزّ وجلّ: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾، ونحن مع الأسف الآن نحب أن نجاهر بهذا والله سبحانه وتعالى لا يحب هذا، فهو سبحانه أمرنا أن نذكر ربنا بأنفسنا ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفةً ودون الجهر من القول﴾ وخصوصاً بالغدو والآصال يعني في بواكير النهار وفي الليل، ونحن بالعكس نفتح المكبرات إلى أقصى درجة فنجعل الأطفال يرتعدون من الخوف وننقل حتى الصلاة كلها والتسبيح بأعلى صوت، وهكذا نخالف هذه الآية الكريمة غاية المخالفة، ﴿واذكروا الله عند المشعر الحرام﴾، فهنا معناها التبجيل وأيضاً دعاء الله عزّ وجلّ عند المشعر الحرام والثناء على الله عزّ وجلّ "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك"، وهذا تحدثنا عنه عندما تحدثنا عن الحمد ذات مرة.

بالمأثور عندما يقف الإنسان ويقول "سمع الله لمن حمده" فيقول "ربنا ولك الحمد" فهي تلبية لما قاله في الصلاة، فمعنى "سمع الله لمن حمده" أن الله سبحانه وتعالى يستجيب لمن حمده، فلذلك يحمد الله عزّ وجلّ فيكون الآن موضع استجابة الدعاء، ولذلك القنوت وارد في كل الصلوات عن النبي ﷺ أنه كان يقنت في الصلوات، ونحن الآن نسينا هذه السنّة تماماً، فبعضنا يحصرها فقط بالقنوت في الفجر، وهذا مذهب الشافعية، وبعضنا يحصرها فقط في القنوت في الوتر، وهذا مذهب الأحناف، وبعض الناس لا يقنت أصلاً، حتى الذين يقنتون بالفجر ويقنتون بالوتر لا يقنتون باقي النهار، وأنا أدعوكم بالله إلى القنوت ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً وخاصةً بالنوافل، لأننا نقول "سمع الله لمن حمده"، لماذا؟ لأن هذا تنبيه من الله عزّ وجلّ أننا حينما نقول بعدها "ربنا ولك الحمد" وقد حمدنا الله عزّ وجلّ، فهذا موقع السماع من الله عزّ وجلّ، فإما بالقنوت وإما بالسجود لأن السجود يأتي بعد الحمد، والنبي ﷺ يقول "أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فأكثرُوا فيه من الدعاء"، فلذلك أكثرُوا فيه من الدعاء وهذه من بركات الصلاة الكثيرة؛ قضية الدعاء والصلة بالله عزّ وجلّ هذه الصلة التي يغفل عنها الكثيرون مع الأسف، وعلاقة الحب هذه التي تربط بين الإنسان وربه، فمن يتصوّر أن الله سبحانه وتعالى يتواضع - إذا صحّ التعبير - إلى مستوى عبده فيقول: ﴿يحبونهم ويحبونه﴾ محبة متبادلة وكأنهم في نفس المستوى، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾، والنبي ﷺ يقول "أحبوا الله من كل قلوبكم"، فهذه المحبة المتبادلة هي أساس الصلاة وهي أساس الدين، وإخواننا المسيحيون يقولون "الله محبة" ويعتقدون أنه لا يوجد أحد في الدنيا يقول الله محبة، بالطبع لا، فالحب هو أصل الصلاة في الإسلام وأصل العلاقة الإنسانية، فشبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي قائمة على الحب، والله سبحانه وتعالى يقول في سورة مريم: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً﴾، هذا الود المنتشر في كل، ولذلك النبي ﷺ يقول "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد...."، كذلك قوله تعالى: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾، هذا الحب الذي تنغمس فيه العبادة وتنغمس فيه حياة المسلم نحن نغفل عنه وربما نجد

من العيب أن نتكلم في هذا الحب، مع أن الحب لله عز وجل والحب في الله عز وجل من أشرف المعاني التي يجب أن نحرص عليها، وتعبيرنا عن حب الله عز وجل يتجلى بصورة خاصة في مناجاته في الصلاة، فنحن نحدث ربنا كأنه أمامنا ونتحدث وإياه بأبسط صيغة من الصيغ، وهذا ما يجب أن نستشعره دائماً، وكما تعلمون أن كل الأسئلة التي سألها المؤمنون لربهم عز وجل جاء فيها الجواب عن طريق النبي ﷺ ومن أمثال ذلك: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾، و﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾، و﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ كلهم بهذا الشكل إلا آية واحدة هي ﴿وإذا سألك عبادي عني - لم يقل قل وإنما قال - فإني قريب﴾ فالجواب جاء مباشرة من الله عز وجل ليعبر عن غاية القرب ﴿إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾، فلنستغل هذا قرب العالمين يحب أن يُدعى ويحب أن يُستغفر فهو الغفار وهو التواب وهو الرحيم وهو الرحمن، فلا يوجد أبسط من هذه العلاقة بيننا وبين الله عز وجل علاقة في منتهى البساطة وفي منتهى الصفاء وفي منتهى النقاء، فلماذا لا نستغل هذه العلاقة، فلنستغلها إلى أبعد الحدود، والله سبحانه وتعالى يضع دائماً أمامنا الوسائل السهلة ليغفوا عن ذنوبنا، الله سبحانه وتعالى هو الغفور والغفار وذو المغفرة، فكل مشتقات الغفران وردت من أسماء الله الحسنى، فهو يحب أن يغفر ويحب أن يتوب على الناس. وكما ذكرت لكم في مرة سابقة أنه عندما سأل إنسان السيدة رابعة العدوية فقال: "يا سيدتي أنا عصيت الله عز وجل ثم تبت إليه ولا أدري هل يقبل الله توبتي أم لا يقبلها" فقالت له: "يا مسكين لو لم يتب عليك لم تتب أولم تسمع قوله تعالى ﴿ثم تابوا عليهم ليتوبوا﴾"، قرب العالمين هو الذي يسبقنا بالتوبة، فهذا الكرم العظيم نحن لا نستغله على الإطلاق مع الأسف، فلنحاول استغلاله، وهذا استطراد لكنه يتعلق بقضية الذكر وحمد الله عز وجل والثناء عليه والدعاء والصلاة، وكلها من ضمن الذكر وكلها ينبغي أن تذكرنا بأن علينا أن نقوي هذه العلاقة؛ علاقة الحب مع الله عز وجل وهذه ذروة العلاقات كلها على الإطلاق. أيضاً ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله﴾، ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً...﴾، ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ والآلاء هي النعم، ورب العالمين دائماً يحب أن يطلب

من بني إسرائيل ﴿واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾، فربنا عز وجل يذكرنا بالنعم والآلاء ويطلب إلينا أن نستذكرها لأن هذا أيضاً يمثل جزء من علاقة الحب لله عز وجل، فالله الذي أنعم علينا بكل هذه النعم ألا يستحق منا غاية الحب!!، لذلك فالعبادة كما يقول الإمام ابن تيمية تتضمن غاية الحب لله بغاية الخضوع له، الأمران معاً وإحداهما لا يكفي، فالإنسان إذا كان يحب آخر ولكنه لا يخضع له خضوعاً كاملاً فهذه ليست عبادة، وإذا كان يخضع لإنسان ولا يحبه غاية الحب فهذه ليست عبادة مثلما يخضع لقاضي أو جبار، لكن العبادة يجب أن تكون غاية الحب وع غاية الخضوع، ولذلك العرب تقول "تيم الله" أي عبد الله، وأعلى درجات الحب هي التتيم، فالحب له درجات؛ الميل والعشق والغرام وإلى آخره، وأعلى الدرجات هي التتيم، فالتتيم هذا الذي وصل إلى أعلى درجة من درجات الحب، لكن العرب من قديم تقول تيم الله بمعنى عبد الله، فكلمة العبودية تستوعب هذا المعنى الذي هو معنى الحب.

الله سبحانه وتعالى يقول لنساء النبي عليهن رضوان الله ﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾، وهذا الذكر ليس معناه مجرد التذكر وإنما معناه أن يُذكر بالتشريف وما شابه ذلك، وهذه الآية مهمة جداً فالله عز وجل يقول: ﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ وحتى نعرف ما هي الحكمة، فما الذي كان يُتلى في بيوت زوجات النبي ﷺ غير كتاب الله؟ ، كلام النبي ﷺ، فإن هذا هو الحكمة، لذلك حينما يقول ربنا تبارك وتعالى الحكمة فتكون هي الوحي الموحى به للنبي ﷺ - وكذلك إلى أي نبي - والذي يعبر عنه النبي بكلامه، لكن هذا وحي مثله في ذلك مثل الوحي المنزل بنصه، كلاهما وحي من الله عز وجل ولكليهما نفس الحُجية، الله سبحانه وتعالى يتحدث عن الكتاب والحكمة فيقول ربنا عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة﴾، فالله سبحانه وتعالى قد أنزل الكتاب ولكن أنزل الحكمة في الوقت نفسه، وبعض الأنبياء ذكر ربنا عز وجل في القرآن الكريم أنه آتاهم الحكمة دون أن يذكر أنه آتاهم الكتاب، يعني أن يأتيهم الحكمة دون الكتاب، مثل سيدنا لقمان ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ فالله سبحانه وتعالى أنزل عليه وحياً وسيدنا لقمان كان يعبر عنه

بكلامه، لذلك قال لابنه وهو يعظه "يا بني لا تُشرك بالله" وهذا الكلام شبيه جداً بالوحي مما يدل على أنه وحيٌّ ولكن عبّر عنه لقمان بلسانه، فإذن حينما نسمع كلمة الكتاب والحكمة ونسمع أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل الكتاب وقد أنزل الحكمة، فمعنى ذلك أن الحكمة هي وحيٌّ أيضاً نزل على النبي ﷺ ولكن ترك له ﷺ أن يعبر عنه بتعبيره أو بكلامه، في حين أن الكتاب هو مُنزل بنص يوحى من الله عزّ وجلّ وليس للنبي ﷺ أن يتدخل فيه، وهذه من الآيات المهمة جداً.

وهناك آيات أخرى كثيرة، فالذكر ورد في آيات كثيرة ﴿واذكروه كما هداكم﴾، فالله سبحانه وتعالى هدانا، والهداية كما قلنا في المرة الماضية لها معنيان أساسيان؛ المعنى الأول هو الدلالة أو مجرد أن يدل على الطريق، والمعنى الآخر هو الإيصال أو أن يوصل إلى غاية الطريق، ولذلك رب العالمين يقول للنبي ﷺ: ﴿ليس عليك هداهم﴾، وأيضاً يقول له: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾، لكن بالمقابل يقول: ﴿وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم﴾، فتهدي الأولى معناها أنك لا تستطيع أن توصلهم إلى هذا المطلوب من الهداية، أما تهدي الثانية في ﴿وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم﴾ أي أنك تدل على الصراط المستقيم، فرب العالمين يهدي الناس جميعاً بمعنى الدلالة، وهذه هي الخطوة الأولى، وهو أمر يجب أن يبقى في أذهاننا جميعاً، والله سبحانه وتعالى كما يقول في سورة الأعلى: ﴿قَدْ فَهَدَى﴾، وهذا للمخلوقات جميعاً، فقدّر يعني مكن، يعني كل مخلوق من المخلوقات قدّره الله سبحانه وتعالى أي جعله قادراً على القيام بشؤونه على أن يبحث عن طعامه وعلى أن يبحث عن عمل، وهذا لكل المخلوقات من الطير والحيوان والحشرات والنبات وكل هذا قدّره الله عزّ وجلّ أولاً أن يعيش، لكن بالإضافة إلى ذلك الله سبحانه وتعالى قد هداه، وهذه الهداية كما قلنا معناها الدلالة، فرب العالمين يقول: ﴿وهديناه النجدين﴾ والنجد هو الطريق الواضح، ﴿وهديناه النجدين﴾ يعني دللناه بكل وضوح على طريق الخير وعلى طريق الشر، ثم خيرنا ربنا عزّ وجلّ فإن أحببت أن تسلك طريق الخير فافعل وإن أحببت أن تسلك طريق الشر فافعل، ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فهنا متروك الخيار للإنسان مائة

بالمائة، فلا يُجبر الإنسان على الهداية ولا على الضلال، وإنما رب العالمين يهديه بمعنى أنه يدلّه على الطريقين ويترك له الخطوة الأولى، لكن بعدما يتخذ الإنسان هذه الخطوة الأولى يتدخل ربنا عزّ وجلّ، فإن كان قد اختار طريق الخير يزيده ربنا عزّ وجلّ من هذا الطريق، وإن كان قد اختار الطريق الآخر أيضاً يزيده من هذا الطريق، يقول ربنا عزّ وجلّ: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ ويقول أيضاً: ﴿فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾، لكن البداية كانت من عند الشخص نفسه، فلما أزاغوا هم واتخذوا الخطوة الأولى في طريق الزيغ بعد أن دلّهم الله عزّ وجلّ على أن هذا طريق الخير وهذا طريق الشر، فهم اختاروا أن يزيغوا فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم وتركهم في طغيانهم يعمهون، وفي المقابل ﴿أولئك الذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ و﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾، إذن هذا معنى الهداية، فنعود ونقول قوله عزّ وجلّ: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ فنحن نشكر ربنا ونثني عليه ونذكر آلائه ونعمه كما أنه هدانا وكما أنه دلّنا على أن هذا هو طريق الخير وهذا هو طريق الشر وترك لنا أن نختار الطريق الذي ينبغي أن نسلكه.

أما إذا أنزلت سورة مُحكمة وذكر فيها القتال ، فهنا ذكر ليس معناها التشريف والتعظيم ولا العيب في القتال وإنما مجرد أنها كلمة وردت على اللسان، وهذا ما قد ذكرناه من قبل وهو معنى جرّ الشيء على اللسان، فهذه الآية ذكر فيها القتال يعني ورد في جملة من جُمِل هذه الآية. ﴿في بيوتِ أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه﴾، "ويُذكر فيها اسمه" يعني يُعظّم اسمه ويُجَلّ اسمه عزّ وجلّ، وبالإضافة إلى ذلك كل ما يتعلق بالصلاة والدعاء لأن هذه البيوت هي للصلاة والدعاء والثناء والحمد وما شابه ذلك.

وفي سورة الأعلى ﴿فذكر إن نفعك الذكرى﴾ - وهذه يختلف فيها المفسرون كثيراً منذ القديم -، فإن تأتي أصلاً للتقليل لكن هنا إنّ تأتي بمعنى ما وليست بشرط للتقليل، وكما قلت أنه عندنا حرفان للشرط هما إذا وإنّ، إذا تأتي عندما يكون الأمر مؤكداً، وإنّ تأتي عندما يكون بعيد جداً عن الاحتمال فتكون الاحتمالية أو Probability قليلة جداً لهذا نقول إنّ، وعلى هذا الأساس يقول النبي ﷺ: "إن كان في شيء من أدويتكم خير،

ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لدعة نار...." وهذا الحديث في البخاري وهو يوضح كل الروايات الأخرى، والنبى ﷺ يقول أنها أدوية البشر وليست أدويته فقال "إن كان في شيء من أدويتكم.." معناها الحمامة والعسل والكَيّ وكل التداوي الذي كان في زمن النبى ﷺ بما في ذلك ما أوصى به النبى ﷺ كل هذا من أدوية القوم وليس دواءً له لأن النبى ﷺ لم يُرسل طبيباً للأجسام وإنما أرسل طبيباً للأرواح، بالإضافة إلى ذلك يقول في أول الحديث "إن كان فيها خير" فهذا للتقليل، يعني إن كان فيها خير والغالب أنه ليس فيها خير، مع ذلك نجد الآن مع الأسف هنالك هجمة جديدة بالدعوة إلى الحمامة وغير ذلك، وهو اتجاه خطير جداً لأنه يُعرض إلى العدوى بالأمراض الطيرة وبصورة خاصة التهاب الكبد من النوع B والنوع C والإيدز وما شابه من هذه الأمراض عن طريق الحمامة لأنهم يتداولونها في العادة بطريقة غير مُعقمة وغير نظيفة، وحتى التعقيم هنا يحتاج إلى نوع خاص من التعقيم ف.... جيداً ولا يجوز إعادة استعمال الأداة نفسها من إنسان إلى إنسان آخر، هذا كله يدل عليه حديث النبى ﷺ "إن كان فيها خير" والأغلب أنه ليس فيها خير، فإن إذاً للتقليل، ﴿فذكّر إن نفعت الذكرى﴾ هل معناها أن الذكرى نادراً ما تنفع؟، لا بالعكس فهي تأتي هنا بمعنى ما، أي فذكر ما نفعت الذكرى أي ما دامت الذكرى تنفع فذكر، ولو كانت تعني أنها للتقليل كان ربنا عزّ وجلّ قال إن نفعت هكذا بالشكل المطلق، يعني معناها أن الذكرى تنفع بعض الناس ولا تنفع بعض الناس، وليس معناها أنها تنفع دائماً لكل إنسان، فما دامت الذكرى تنفع بعض الناس فذكر، فإن المطلوب ممّا أن نذكر بغض النظر عن النتائج التي نتوقعها، فربنا عزّ وجلّ يسألنا عن العمل ولا يسألنا عن النتائج أبداً، فالنتائج تتعلق به وحده وهذا من الأشياء التي يغلط فيها الكثيرون، فالحمد لله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - وليس ما وصل إليه - وأن سعيه سوف يُرى ثم يُجزاه الجزاء الأوفى﴾، كذلك ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ فلا يحاسبهم بنتيجة عملهم ولكن بالصدق في حد ذاته، إذن نحن مطالبون فقط ببذل الجهد. فنحن نُذكر ما دامت الذكرى تنفع فعلينا لأن نُذكر بغض النظر عن أن هذا الإنسان سينتفع بهذه الذكرى أو لن ينتفع، فهذا موضوع لا علاقة لنا به، فنحن واجبنا أن نُذكّر وواجبنا أن ندعو إلى الله عزّ وجلّ

وواجبنا أن نصدع بكلمة الحق ثم بعد ذلك الأمر متروك إلى الله عزّ وجلّ، وهذا خلاصة ما أمر الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ منذ أن قال له: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فالصدع معناه تبليغ كل كلمة، ﴿إنما عليك البلاغ﴾ فقط البلاغ ونحن تابعو النبي ﷺ علينا البلاغ، هذا ملخص آية عظيمة جداً ﴿قل هذه سبيلي - ما هي - أدعو إلى الله - مجرد دعوة - على بصيرة أنا ومن اتبعن﴾ وهي تُفهم على أحد الوجهين، أدعو إلى الله، على بصيرة أنا ومن اتبعن، وأيضاً أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعن، وكلاهما فهمٌ صحيح وجيد، ومعناهما أن وظيفتنا نحن هي الدعوة إلى الله ولا علاقة لنا بعد ذلك بشيء، لذلك يقول رب العالمين لنبيه ﷺ: ﴿إنما عليك البلاغ﴾ فقط، ويقول له: ﴿ليس عليك هداهم﴾، ويقول له: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾، ويقول له: ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾، ويقول له: ﴿أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾، ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم﴾، فرب العالمين عزّ وجلّ يبيّن لنا أن هذه الأمور ليست من وظائفنا وإنما هي مما يتفرد الله عزّ وجلّ به وأن كل ما علينا هو أن ندعو وأن نُذكر وأن نوصل كلمة الله عزّ وجلّ، وبعد ذلك أمره كله عائد إلى الله عزّ وجلّ وليس لأحدٍ أن يتدخل فيه.

أعتقد أننا إلى حد بعيد ناقشنا موضوع الذكر واستطردنا بعض الاستطرادات التي أعتقد أنها كانت نافعة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذه الأحاديث وأن يجعلها من العلم الذي يُنتفع به وأن يغفر لنا وأن يهدينا سُبُلنا ويغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسرنا وما أعلننا وما هو أعلم به منا، سبحانه اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

سؤال:

بالنسبة للسؤال الأول ﴿أقم الصلاة لذكركي﴾ طبعاً للإنسان الذي يواظب على الصلاة، أما الإنسان الذي فاتته فوائت أي أنه انقطع فترة طويلة، فهذا المطلوب منه فقط أن يتوب ويستغفر، طبعاً يمكن أن يُكثّر من النوافل والنوافل تقوم بدورها مقام الصلوات

الفرائض، لأنها كلها توضع بعد ذلك في ميزان الحسنات والسيئات فتُعَوَّض، فليس من الضروري أن يقضي مع كل صلاة صلاة من فوائته ولو فعل فلا مانع، وهناك بعض الناس يتشددون ويقولون أن هذا لم يرد عن النبي ﷺ، ولكن أي شيء حتى ولو لم يرد عن النبي ﷺ إذا كان لا يخالف أصلاً من أصول الدين فلا مانع، فقضية مفهوم البدعة كثير من إخواننا توسعوا فيه توسعاً مذموماً ويحاولون أن يحرِّجوا على الناس ويضيقوا عليهم، وأكثر من عالج هذا الموضوع معالجة رائعة هو سلطان العلماء العز بن عبد السلام، وبالمناسبة العز بن عبد السلام قلَّما يذكره الناس وهو الرجل صاحب الفضل على البشرية كلها، فحمى الحضارة الإنسانية كلها من، لأنه هو الذي كان له الفضل في تحريض الناس وتقويتهم والخروج بهم إلى معركة عين جالوت حيث أوقف زحف التتار وهُزموا لأول مرة في التاريخ وتوقفت عمليات الهمجية التي كان التتار، فهكذا استطاع العز بن عبد السلام أن وإلا كُنَّا لم نجد شيء من آثار هذه الحضارة في أي بلد من البلدان، والعز بن عبد السلام يقول في كتابه قواعد الأحكام: "أن البدعة الأحكام الخمسة؛ فهناك بدعة واجبة وهناك بدعة مستحبة وهناك بدعة مباحة وهناك بدعة مكروهة وهناك بدعة محرَّمة"، ونضرب مثلاً على البدع الواجبة بمصطلح الحديث، فهذا لم يكن في زمن النبي ﷺ، ولكن لولا مصطلح الحديث لما عرفنا الحديث الصحيح من الحديث الضعيف، فهذه بدعة صحيح لكنها بدعة مفروضة وبدعة واجبة لأن بدونها لا نستطيع أن نتعرف على صحة الأحاديث، وأمثلة أخرى كثيرة. وبالمقابل هنالك أيضاً بعض البدع المستحبة، فسيدنا عمر رضي الله عنه جمع صلاة التراويح بعد أن كان الناس يصلونها في عهد النبي ﷺ يصلوها الناس أوزاعاً أي متفرقين، بأئمة متفرقين فسيدنا عمر رضي الله عنه جمعهم على إمام واحد، فلما دخل اليوم التالي ووجد فسامها بدعة، قال سيدنا عمر رضي الله عنه أنها بدعة مستحبة لأنه جمع الناس على إمام واحد. والبدع المباحة هي كل جديد مباح مثل الأجهزة الحديثة التي لا علاقة لها بجل أو حرمة. وطبعاً البدع المحرَّمة والمكروهة فهي مفروغ منها وكل الناس يعرفون أنها مُحَرَّمة. فإذن قضية قضاء الفوائت ليست بدعة كما يقول البعض وأنها لا تجوز، لا بل هي تجوز إذا فُعلت بهذا الشكل فهو صحيح، وإذا كانت أكثر من النوافل فهي أيضاً

صحيحة، فالأساس فيها التوبة والنبي ﷺ يقول "ويتوب الله على من تاب" فكل من تاب قد تاب الله عليه، فالتوبة مقبولة بدون شيء لكن إذا أحب الإنسان أن يقوم بعدد من النوافل فهذا زيادة في الخير.

بالنسبة للسؤال الثاني، الحقيقة أنا متألم جداً لهذا، وفي اليومين الأخيرين ذكرت هذا لبعض إخواني وأخواتي، فكم أنا متألم لهذه المواقف المتشججة في عالمنا الإسلامي والتركيز على حادثة مرت بشكل عابر وكان من الممكن أن تمر ولا يعلم بها أحد، لكن أصبح كل إنسان يدلي بدلوه وكل الفقهاء والعلماء أخذوا يستنكرون وكأن الإسلام كله زلزلت أركانه بسبب هذه الحادثة، وهي أن امرأة خطبت الجمعة وصلت إماماً وبكتدرائية، واعتبروها مجموعة من المصائب حدثت في آن واحد وهُدم الإسلام في جميع أركانه، فكل ما يحدث في فلسطين وأفغانستان والعراق وكل هذا ليس له قيمة إطلاقاً، وهذه القضية هي التي هزت أركان الكون، وهذا بالطبع نوع من الهزل في موقع الجد، فهذه القضية لا تُعالج بهذا الشكل أصلاً بغض النظر عن الموضوع ذاته، فضلاً عن أن الموضوع في حد ذاته هو موضوع خلاف والأشياء الخلافية عادة لا يُنكر فيها، وهذا متفق عليه بين الفقهاء أنه لا إنكار في مواضع الخلاف، ففي المذهب الشافعي إذا الإنسان لمس امرأة فعليه أن يتوضأ وإذا صلى بدون أن يتوضأ فصلاته باطلة، ولكن المذاهب الأخرى لا تقول بهذا، فإذا صلى أحداً بعد أن لمس امرأة فهل يستنكر الشافعية عليه هذا الفعل؟!، بالطبع لا يجوز، فالمسائل الخلافية التي ليس فيها نص قاطع من القرآن والسنة، فهذه لا يجوز الإنكار فيها، وهو أمر متفق عليه لأن كل المسائل الخلافية وارد فيها من الله عز وجل كيف تُعالج، فالله عز وجل يقول: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ فنرده إلى الله والرسول فقط فلا يُرد إلى صحابي ولا إلى ... ولا إلى فقيه ولا إلى جمهور الفقهاء ولا إلى إجماع ولا إلى قياس، وهذا لم يحدث فالموضوع لم يُرد إلى الله والرسول وهي مسألة خلافية لا يجوز فيها الإنكار أصلاً في رأيي، وكان من الممكن أن هؤلاء الناس يقولون أن لهم رأي آخر فنناقشهم، فيمكن أن يتصل الإنسان هاتفياً بمن يريد أن يناقش أو يكتب على البريد

الإلكتروني أو ما شابه، فيمكن مناقشتها في الغرف المغلقة ولا داعي من مناقشتها بهذا الشكل، وأن لست مع مناقشة الموضوع والإفاضة فيه، لكنه ورد في الحديث الصحيح أن صحابية من صحابييات النبي ﷺ وهي أم ورقة عيّن النبي ﷺ لها مؤذناً وأمرها أن تؤم أهل بيتها فأهل بيتها بالطبع هم أولادها وزوجها وغيرهم وبالطبع المؤذن، فكل هؤلاء تؤمهم هذه السيدة الفاضلة، فما الذي فرق بين هذه السيدة وهذه السيدة صاحبة القضية، فهناك على الأقل شيء يمكن أن يُحتج به والقضية ليست محسومة.

سؤال:

المؤذن غريب بالطبع، لماذا لا يجوز؟! الله سبحانه وتعالى قال لنساء النبي ﷺ: ﴿ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي بقلبه مرض﴾ إذن القول ليس عورة فهو نهاهن فقط عن الخضوع في الكلام، فبالطبع الصوت في الصلاة ليس بعورة، وإلا ما كان قال لهن لا تخضعن في القول، لكنؤكد أن صوت المرأة ليس بعورة إطلاقاً فليس له أصل في القرآن ولا في السنة.

سؤال:

مادام صوت المرأة ليس فيه خضوع بالقول أو "دلع" فهو ليس بعورة، ومن المؤسف هذا التدهور في التفكير الآن، فمن قبل ثلاثين سنة من الآن قد أدّنت أم كلثوم ولم يستنكر أحد ولم يقل أحد أن هذا الصوت عورة، فكان هذا من باب أولى، وكانت السيدة سكيّنة حسن لها صوت من أروع ما يكون ويخشع الإنسان لقراءتها، وعندي اسطوانة قديمة لها احتفظ بها وأعتبرها شيء ثمين، ولم يقل أحد أن هذا حرام، وكان بوقتها شيوخ عظام أمثال الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ شلتوت والشيخ محمد بخيت وغيرهم، وهذا دليل على تخلفنا فنحن نسير القهقري مع الأسف، فقضية أن صوت المرأة عورة ولو قرأت القرآن ولو أدّنت نردها إلى الله ورسوله، فإذا وجدنا نص في القرآن أو نص صحيح في السنة يقول أن صوت المرأة عورة، فلنقول أنه عورة إذن وهيهات. على كلّ أنا لا أدعو أن هذا العمل يتم ولكني لا أعارض عليه بهذا الشكل الذي أعارض عليه، فإذا كان له رأي مخالف يتحدث مع من يختلف معه بشكل مقبول ولا داعي لإثارة القضية لأن هذه الإثارة سيكون لها عواقب سيئة جداً.

سؤال:

وقد صلّت بكاتدرائية لأن المساجد رفضوا يعطوها مكان، والنبي ﷺ يقول: "جُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً"، وهذه الكاتدرائية هي أرض كذلك.

سؤال: سيدنا عمر خشي أن

لا طبعاً كان يُصلي.

سؤال:

لا هذا موضوع آخر.

سؤال:

للإجابة على هذا السؤال الأخير، هنالك عدّة أقوال كما قلنا، وهذا القول الذي قال به هو قول وارد، فقول بعض اللغويين أن "إن" هي ... لـ إن، يعني فذكر فإن الذكرى، وهذا ورد في الآية الأخرى ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذه الآية تدل على أن الذكرى تنفع المؤمنين ومعنى ذلك أنها ليست بالضرورة تنفع غير المؤمنين، ولذلك رب العالمين يقول أنه ما دامت الذكرى تنفع فذكر، وهذا أرجح الأقوال بالنسبة لي وهو ما أخذ به الإمام ابن تيمية بعد أن أورد أقوال عديدة.

وبالنسبة للسؤال الأول فبه أشياء عديدة لا أعتقد أن الوقت يتسع لها، وبعض هذه المصطلحات التي تُستعمل أتوقف عندها، مثل موضوع المعلوم من الدين بالضرورة، وأخي الدكتور محمد العوّا يذكر هذا بإصرار وأيضاً شيخه الشيخ محمد مصطفى شلبي قالوا أن هذا كلام لا معنى له، فنحن نعرف الضرورات التي تبيح المحذورات، فما علاقة الضرورات التي تبيح المحذورات بالمعلوم من الدين، وهذه كلها مصطلحات أُخترعت من قبل المتأخرين وليس لها معنى، فلم يقل النبي ﷺ ذلك ولا الراشدون ولا الصحابة.

سؤال: أفلا تكون بدعة حسنة ؟

لا هذه ليست بدعة حسنة، فهو كلام لا معنى له، فالضرورة لها معنى أن الضرورات تبيح المحذورات، ومن الأشياء الأخرى التي أعترض عليها بالمداخلة هي قضية أن نحكم على إيمان الناس أو ما يعتقدونه أو كيف توصلوا إلى هذا، فنحن لم

نعرف إن كانت هذه السيدة رجعت إلى الفقه قبل أن تقوم بهذا العمل أم لم تعد، فلا دليل على أنها رجعت ولا على أنها لم ترجع، فنحن لا نحكم على شيء إلا إذا كان هنالك دليل، وهذه ناحية أساسية، فيجب أن تكون هناك بيّنة فإذا لم تكن هناك بيّنة فلا مجال للكلام فيه.

والأشياء التي فيها أقوال والمُختلف فيها، المشكلة أننا نعرف الأقوال البارزة في المذاهب الفقهية الكبرى ولا نعرف الأقوال الفرعية وكل ما قيل، ففي زمن النبي ﷺ لم يكن الناس أثرياء فيستطيعون أن يشتروا ما يشاءون من الملابس وما شابه ذلك، ولباسهم كان في حقيقة الأمر أكثره إزاراً ورداءً يعني ما نلبسه اليوم في الإحرام، وكثير من الناس يظنون أن السنّة أن يلبسوا ما يسمونه اليوم بالجلباب، فأحياناً كان النبي ﷺ يلبس هذا ولكن الشيء الذي كان معروف والذي يلبسونه أكثر أيام عمرهم هو الإزار والرداء، فإذا أحبوا أن يلتزموا ما كان النبي ﷺ يلبسه فليلبسوا إزاراً ورداءً، وأتصور أن الناس إذا طبقوه مثلاً في الإسكيمو سيموت الناس من البرد، هذه أشياء لا تدخل فيها البدعة، فالإمام الشاطبي له كلام نفيس في هذا الموضوع يقول أن البدع لا تدخل في العادات، هذه قاعدة عامة له وهو فعلاً كلام نفيس بالآ.....

سؤال:

لا اللباس هو من العادات.

فهذا ما كانوا ما يلبسونه، ولم يكن لدى الجميع سعة حتى يشتروا أثواب سابعة، فبعضهم كان عنده أثواب قصيرة جداً كانوا يلبسونها وهي ضيقة عليهم، وكانت تنكشف عوراتهم حين يسجدون، ولذلك أمر النبي ﷺ النساء أن يتأخرن في القيام حتى لا تنكشف عورات الرجال من ضيق الأزر، فهذا لا يعني أن النساء يجب أن يتأخروا دائماً عن الرجال في رفع رؤوسهم، فعندما لبس الرجال لباس سابغ لم تعد هذه العلة موجودة، فعندما يكون هناك نص على العلة مرتبط بها الحكم فحينما تزول العلة يزول الحكم أيضاً، فإذن لا نحاول أن نتصلب على هذه الأشياء، فكثير منها كان مرتبطاً بعلة

معينة أو حكمة معينة فإذا تغيرت هذه الحكمة وأنا كما قلت سابقاً أنا لا أدعو إلى ما فعلته هذه السيدة وما فعله الناس .

سؤال:

قضية أن المرأة يجب أن تكون دائماً في الخلف، الله أعلم.

سؤال:

لباس المرأة في الصلاة لم يرد فيه نص، وما ورد في النص أن النبي ﷺ قال: "لا صلاة لحائض - أي المرأة التي بلغت - إلا بخمار" فقط هذا أما بقية اللباس لم يرد فيه شيء، فالخمار مطلوب والذي يسمونه، فأنا لا أخالف في هذا، أما غير ذلك فأنا لا أعرف نصاً لا في القرآن ولا في السنة على خلاف ذلك.

.....، فنحن تعرضنا للاءات تدل على عدم الكمال مثل قول النبي ﷺ "لا صلاة لمن لم ..."، لأنه في الحديث الآخر قال أن الصلاة التي لم يُقرأ فيها فهي خداج غير، والخداج الخديج هو الذي يولد قبل مواعده، يعني هذا الذي يولد بعد سبع أو ثمان أشهر اسمه خداج والمرأة اسمها خديجة، فخداج معناها أنه لم تكتمل هذه الصلاة لكن ليس معناها أن الصلاة باطلة، هذا لا يعني ومثلها "لا صلاة لحائض إلا بخمار" فهذه معناها أن الصلاة غير كاملة، أم هل هي باطلة أم غير باطلة فلا أعلم، فأنا لا أستطيع أن أقول أنها غير باطلة ولا أن أقول أنها باطلة، لأنه ليس عندي نص، ليس عندي غير هذا النص، وكلمة "لا" في هذا النص لا تدل على البطلان الكامل وإنما هي مثل "لا صلاة لمن لم ...".

سؤال:

أنا لا أشجع على ذلك لكن كما قلت أنا لا أستطيع أن أفتي بشيء إلا إذا ورد فيه نص من الكتاب أو السنة الصحيحة، لأن هذه كلها أشياء مُتنازع فيها وكما عرفنا ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾.

سؤال: القواعد الأصولية ...

لا، القواعد الأصولية تتضح في قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمري أن تصيبهم فتنة﴾، فهذا أمر وأمر النبي ﷺ واجب الاتباع، أما فعل النبي ﷺ فربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾، فهي أسوة يُثاب من يفعلها ولكنها ليست أمر، فالفعل شيء والأمر شيء آخر، والنبي ﷺ يقول: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، يعني ما ورد أمر للنبي ﷺ وأنا لا أعرف، لكن الفعل شيء آخر، وأنا أفصل طبعاً وأقول أن نتبع النبي ﷺ في كل شيء، لكن ليس بمنزلة الأمر.

سؤال:

هل سمعنا أن النبي ﷺ ... على الناس سجود السهو؟!

سؤال:

الثانية معناها سهى، وسهى تعني أن هناك جزء من الصلاة

سؤال:

هذا من طبيعة البشر والأنبياء بأولهم، فما دام النبي ﷺ سهى وما دام سيدنا عمر رضي الله عنه كان يخطط استراتيجية الجيش والحروب وهو يصلي، فهذه بها خشوع. فالخشوع في تعريفهم كما قلنا في مرة ماضية ليس معناه الانصراف التام وما شابه ذلك، فدائماً نفسر القرآن بالقرآن أو القرآن بالحديث، فرب العالمين يقول: ﴿وترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا الماء اهتزت وربت﴾ إذن هذين الأمرين مخالفان للخشوع وهما الاهتزاز أي

الحركة والرُّبُو أي التكبر أو الكبرياء، وعكسهما السكون والتذلل، والتذلل هذا هو جزء أساسي من العبادة وهكذا الخضوع، وهذا هو المطلوب وهذا هو معنى الخشوع، فالخشوع أن يصلي الإنسان وهو ساكن في الصلاة وليس أن يضبط هندامه ويحك بذقنه وينظر في الساعة وغير ذلك، فهذا مخالف للخشوع قولاً واحداً، وقد رأى النبي ﷺ شخص يفعل هذا فقال: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"، فخشع معناها سكن، فالمطلوب هو السكون وليس المطلوب هو الاستغراق الكامل، فلا يستطيع أي بشر أن يفعل ذلك، والذي يدّعي هذا لا يُصدّق.

سؤال:

والقياس والإجماع مُختلف فيهما، فرب العالمين قال: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ ولم يقل ردوه إلى إجماع ولا إلى قياس ولا إلى استنباط ولا إلى شيء.

سؤال:

وهذه الأدوات استعملوها الفقهاء ومنها هذا التراث الغني في الفقه طبعاً بفضل هذه الوسائل أكيد، وأنا لم أحتج عليها ولا أنا مبتكر للفقه، بالعكس فالفقه أعتز به اعتزاز كبير جداً، فأول شيء درسته هو الفقه قبل أن أدرس القرآن والحديث، فدخلت من باب الفقه، والفقه شيء أساسي، لكن هذا كله من اجتهادات البشر، فالشريعة هي النصوص المحكمة، والنصوص المحكمة هي القرآن والسنة، والفقه هو حصيلة الفكر الإنساني في إعمال هذه النصوص.

سؤال:

أكيد، فالإجماع فيه خلاف ...، والإمام أحمد بن حنبل أقوى منه في الحديث يقول: "ومن ادعى الإجماع فقد كذب، وما يدريه أن الناس...."، فالإجماع أننا نكون قد جمعنا الناس كلهم بزمان النبي ﷺ وسألناهم فرداً فرداً وهذا لا يجوز، فيقول أن هذا لم يحدث ويقول أن من ادعى الإجماع فقد كذب، والإجماع عملياً بحسب ما تعارف عليه الناس هو اتفاق أكثر العلماء وأكثر الفقهاء وليس أكثر الصحابة مثلاً ولا حتى، فكل هذا ليس يقيناً، ولكن اليقين هو الكتاب والسنة.

سؤال:

"الحلال بين والحرام بين" هذا الحديث النفيس الذي يجب أن نلجأ إليه دائماً، وهذا من البديهي بين الناس، فكما أقول دائماً أن القطة إذا أعطيناها قطعة اللحم تجلس فتأكلها أمامنا، أما إذا خطفتها فتهرب لبعيد، فهي تستطيع أن تفرق بين الحلال والحرام، فحتى الحيوان إذن يستطيع أن تفرق بين الحلال والحرام، فهو شيء طبيعي أن الحلال بين والحرام بين، والحديث "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمورٌ مشتبّهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس" يعني أنه يعلمهن قليلٌ من الناس، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، فلا يعلمهن كثيرٌ من الناس ليس معناها أنه لا يعلمهن أحد، ولذلك من واجبنا نحن أن نسأل عنها، ولكن إلى أن نصل إلى هذه المعرفة فالنبي ﷺ نصحنا بأن نتقي هذه الشبهات، وهذه من تعاليم النبي ﷺ التي هي للإرشاد، وهذا كثير بالمناسبة وهو من الأمور التي قد نتحدث عنها في مناسبة أخرى وهو أن الأوامر الآتية حتى في القرآن الكريم كثير منها هو للإرشاد وليس للوجوب وهذا ما يعرفه العلماء الحقيقيون، فالصحابه هم أول الناس الذين يمكن أن يشرحوا لنا هذا الموضوع بسلوكهم، فعلى سبيل المثال آية الدين التي ذكرناها قبل قليل، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وأشهدوا إذا تباعتم﴾، فهل يذهب أحد إلى السوق يشتري أي شيء ويأخذ معه الشهود؟!، بالطبع لا.

سؤال:

﴿وأشهدوا إذا تباعتم﴾ فهذا إطلاق، بالنسبة للتجارة الحاضرة عفى الله سبحانه وتعالى عن كتابتها وليس فقط عن الإشهاد، فهناك أمرين "وليكتب بينكم كاتب بالعدل" و"واستشهدوا"، بالنسبة للكتابة قرب العالمين سامح فيها إذا كانت تجارة حاضرة نديرها بيننا، ولكن لم يسامح في الشهود، لكن مع ذلك لا الصحابة فعلوا ذلك ولا من بعدهم أثر عنهم أن أحدهم ذهب يشتري شيء وأتى بشاهدين معه أو رجل وامرأتين، ولذلك هذا يعتبروه أمر للإرشاد وليس للوجوب، فهناك كثير من الأوامر التي هي للإرشاد ومنها هذا الحديث أن الأفضل للإنسان أن يستبرأ، أي يفضل أنه يبتعد عن هذا بقدر الإمكان، لذلك قال "كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه"، فهو ليس معناه أنه رتع فيه، فأنا أرجو أن لا نشدد على أنفسنا ولا نشدد على غيرنا، فكان النبي ﷺ ما خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، فهذا أصل الدين.

أعود للموضوع الأصلي، بالطبع هناك خطأ، لكن هذا الخطأ لو كان سكت عنه لما حدث هذا، لكنه أذيع في الإذاعة وغيرها، لأنه لن يتغير شيء، فهل نتصور أن هذه الفتاوى التي قيلت كلها ستغير من فكر هؤلاء الناس؟! أبدأ، فهم سيصلون الأسبوع القادم في الكاتدرائية ولن يتغير شيء على الإطلاق، وسينضم إليهم عدد كبير، إذن فالهدف الذي لن يتحقق، فأنا أستطيع أن أقول هذا بثقة.

الأمر الآخر الذي ذكرتني به في التعليق الذي قلته، هو قضية "المسلمين العلمانيين" و"الإسلام العلماني"، فنحن نستعمل كلمة "علمانية" بشكل غير علمي، فما هي العلمانية ؟

إجابات:

.... الدين مفصول عن الدولة أصلاً.

سؤال:

لا لم نقل هذا بالطبع، فنحن نُقدّر كلام الفقهاء جداً، والمصدر السهل الذي يمكن أن نعود إليه ويعود إليه الناس جميعاً هو كتب الفقهاء، لكنني أقول أنه عندما يكون هناك تنازع بين كلام الفقهاء فنرجع لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ فهو رسم لنا المخطط الذي يجب ألا نحيد عنه، لكن بالطبع نرجع للفقهاء.

سؤال:

لا بالطبع، فالله سبحانه وتعالى عندما يقول: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ فهذا ليس بحمّال أوجه، وكذلك عندما يقول: ﴿كُتِبَ عليكم الصيام﴾ يعني فرض عليكم الصيام، فهذا ليس بحمّال أوجه.

سؤال: ﴿وأشهدوا إذا تباعتم﴾، فهذا حمّال أوجه.

هناك كلام فقهاء هو من باب أولى أن يكون حمّال أوجه، فكل الكلام حمّال أوجه.

سؤال:

انتهى